

## الحلقة الثامنة

## سفر الجامعة

## برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالَج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تأملنا في اللقاء الماضي بحديث سليمان الحكيم عن يأسه للجهد الذي بذله، إذ يترك للإنسان الذي بعده كل تعب. وتساءل كيف يعطي لرجل آخر ما لم يشق به، وأعتبر أن هذا باطل. وختم معلناً تشاؤمه، لأن كل أيام الإنسان أحزان وعمله غمٌّ. لكن تبين لنا أن المخلص المسيح هو الذي يجعل لحياتنا معنى وفائدة.

مستمعي العزيز، هل تتمتع بحياتك؟ وأين يكمن الاستمتاع الحقيقي بالحياة؟ لقد حاول سليمان الحكيم أن يجد معنى للحياة وبطرق شتى. فجرّب أولاً: طريق الحكمة أو الفلسفة، ثم ثانياً: أن يروي نفسه عن طريق الفرح وشرب الخمر. ثم ثالثاً: عن طريق الحصول على كل الأمور المادية وإشباع شهوات الجسد. وحاول رابعاً: عن طريق الثقافة والعلم، ولكن تبين له أن مصير الحكيم والجاهل هو واحد، وهو الموت. بالرغم من أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل. ثم عاد وتساءل لماذا يترك للإنسان الذي بعده كل تعب والإنجازات التي حققها، إذ قد يكون جاهلاً وغير جدير بكل هذا التعب.

وكانت النتيجة أن وصل إلى القناعة التي ردها كثيراً في سفر الجامعة: (أن الكل باطل وقبض الريح، ولا فائدة للإنسان من كل تعب). لكنه بعد ذلك كشف لنا عن بعد جديد للحياة. وأن الحياة وُجدت لكي نتمتع بها. وأنه يوجد فرق بين التمتع في الحياة ونحن قريبون من الله، أو بعيدون عنه. سنأمل مستمعي في لقاء اليوم ما دوتّه لنا سليمان الحكيم في هذا المجال. ونفحص عن كُتب النتيجة التي وصل إليها. وهل كان محقاً في استنتاجه هذا؟ لاسيما أنه عاد وعبر عن يأسه، مكرراً شعار سفر الجامعة المشهور: الكل باطل وقبض الريح.

كتب سليمان الحكيم في سفر الجامعة قائلاً: « فليس أفضل للإنسان من أن يأكل ويشرب ويتمتع بيديه. وهذا أيضاً، كما أرى، هو من يد الله. إذ بمعزل عنه من يستطيع أن يأكل ويستمتع؟ لأن المرء الذي يحظى برضى الله يُنعم الله عليه بالحكمة والمعرفة والفرح» (الجامعة ٢: ٢٤-٢٦ تفسيرية).

كشف لنا هنا سليمان الحكيم عن حكمة جديدة في الحياة. حكمة لها موقف مختلف عن حكمة هذا العالم. إنها الحكمة التي أرادها الله الخالق لنا نحن البشر. إن الله يريدنا أن نتمتع بهذه الحياة، وبكل ما وفره لنا من مأكّل وشراب، وخيرات طبيعية، وعلاقات مع الآخرين، وأن نُسرّ بها. لكن الله الخالق يريدنا في نفس الوقت، أن نتمتع بهذه الحياة ونحن قريبون منه، وعلى علاقة صحيحة معه. إذ لا نستطيع التمتع الحقيقي بالحياة بمعزل عن الله خالقنا، الذي وضع نسمة الحياة فينا. أي كما تساءل سليمان الحكيم هنا: «إذ بمعزل عنه من يستطيع أن يأكل ويستمتع؟».

وهنا وصل سليمان الحكيم إلى هذه النتيجة الهامة، التي هي الحكمة الجديدة: «لأن المرء الذي يحظى برضى الله يُنعم الله عليه بالحكمة والمعرفة والفرح». نعم، إن الله الخالق وحده هو الذي يُنعم علينا نحن البشر الخطاة بالحكمة الحقّة، والمعرفة الصحيحة، والتي تكون نتيجتهما الفرح الحقيقي والدائم. أجل يا صديقي، إن حكمة هذا العالم، وأموره المادية، وملذاته وشهوته، وكل ما فيه، لن تستطيع إشباع قلوبنا وإروائها، لا بل ستكون نتيجتها الإحباط واليأس والفشل. وهو ما وصل إليه سليمان الحكيم ومعظم الناس قبلنا، رغم محاولاتهم الدؤوبة.

لهذا نحن بحاجة إلى إقامة علاقة روحية مع الله خالقنا. وهذا لن يتوفر إلا بواسطة الطريق الصحيح الذي هياه الله لنا، والذي هو المخلص المسيح. وهو الذي قال عن نفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب - أي إلى الله الآب - إلاّ بي» (بشارة يوحنا ١٤:٦). وعندما تكون لنا علاقة صحيحة مع الله خالقنا، نستطيع التمتع الحقيقي بالحياة وخيراتها. وليس هذا فحسب بل يُنعم علينا الله بالحكمة الحقّة، والمعرفة الصحيحة، والفرح الدائم. فهل تود مستمعي أن تتمتع حقاً بالحياة؟ تعال بإيمان قلبي صادق بالمخلص المسيح الذي هو الطريق الوحيد.

وتابع سليمان الحكيم قائلاً: «أما الخاطئ فيفرض عليه - أي الله - عناء الجمع والادخار، ليكون ذلك من نصيب من يُرضي الله. وهذا أيضاً باطل وقبض الريح» (الجامعة ٢:٢٦ ب تفسيرية). يتحدّث هنا سليمان الحكيم عن الإنسان الخاطئ البعيد عن الله، وكيف أنه لا يستطيع التمتع بالحياة. إن الإنسان الخاطئ الذي لم يعرف الله، سيجعل الله حياته شقاء وعذاب. فهو وإن جمع المال لن يتمتع به، بل سيكون من نصيب الذين يرضى عنهم الله، أي الذين لهم علاقة مع الله خالقهم. وهو لن يستطيع التمتع بكل مسرّات الحياة، التي وضعها الله للبشر لكي يتمتعوا بها.

إن حياة هذا الإنسان تكون مليئة بالأحزان والآلام والهموم، لأنه لا يوجد من يعزّيه ويدخل الفرح إلى حياته، ويُبعد عنه الإحباط والفشل. ولهذا ليس غريباً أن يعود سليمان الحكيم ليكرر القول: « وهذا أيضاً باطل وقبض الريح ». لقد نصحننا سليمان الحكيم في البداية أن تكون لنا علاقة صحيحة مع الله خالقنا، لكي نتمتع بالحياة وخيراتها. لكننا إذا أصررنا على ابتعادنا عنه تعالى، فهو يخبرنا سلفاً بالنتيجة التي سنصل إليها، وهي أننا سنحصد الخيبة والفشل، وسنكتشف أن كل ما في هذه الحياة هو باطل وقبض الريح.

نعود لطرح التساؤلات التي طرحناها في بداية هذا اللقاء وهي: هل تتمتع بحياتك مستمعي؟ وأين يكمن الاستمتاع الحقيقي بالحياة؟ لقد اكتشفنا من خلال دراستنا اليوم أنه يجب لكي نتمتع بالحياة حقاً، أن تكون لنا علاقة صحيحة مع الله خالقنا. وعرفنا أيضاً أننا نستطيع معرفة الله حقاً، وإقامة علاقة صحيحة معه عن طريق المخلص المسيح. فهل تراك تأتي إلى الله (مستمعي) معترفاً بذنوبك تائباً عنها، ومؤمناً بالمخلص المسيح؟ عندها فقط يغفر الله ذنوبك، ويجعلك من أولاده، وتتمتع بحياتك، وتتأكد من حصولك على الحياة الأبدية.